نظرات في النفس والحياة

— ٢٠ —

تتمة نظرات جوتا

نلخص الامور التي أخذها عليه النقاد فنقول انهم أخذوا عليه كما يقولون إن نظرته الى الجمال كانت نظرة أغريقية قديمة لا نظرة مسيحية . وإنه كان في اكتمال عمره وشيخوخته لا يتبسّط مع بعض زوّاره بل يبدي بعض الجفاء إذا لم يكن زائره ممن يتوقع أن يستفيد منهم ثقافة . وإنه لم ينظم القصائد ولم يكتب المقالات لحث الالمان على قتال الفرنسيين . وزاد على ذلك أنه أخطأ في تقدير قوة نابليون . وإنه لم يعاون الاحرار الالمان في موقفهم من أمرائهم . وان الثقافة كانت دائرة عنده حول تكميل الفرد فكان بها شيء من الانانية . وتعجبني صراحة هنري هيني الشاعر الالماني الذي نقد جوتا كما شاء ثم اعترف أن شدته في نقده إنما كانت لأنه حسده عظمته، وربما ظلم هيني نفسه بعض الظلم في هذا القول . فإن مزاج هيني الثائر على كل شيء ما كان يستطيع أن يقدر اتزان جوتا حيث يتزن . وبعد أن كان ينسبه الى البرودة وجفاء القول في شعره عاد يقول ان أغانيه الشعرية أحسن وأعظم الاغاني . وهو فيها أعفّ قلماً ولساناً من غيره . وأما موقفه من الفرنسيين فإنه لم يؤجر لهم قلمه ولسانه ولا أجّرهُ لغيرهم من الاحزاب والطوائف . وقد رفض ما اقترحه عليه نابليون أن يجعل باريس مستقرّه . ولم تكن المانيا في عهده إلا دويلات متنافرة . وقد أوشكت روسيا أن تتفق ونابليون على أن يعطيها هانوفر . ثم علمت أنه يخابر الحكومة الانجليزية لارجاعها الى أسرتها . وكانت بافاريا ، وسكسونيا ، وورتمبرج ، وبادن ، وغيرها مع نابليون ولم ينشق عنه أكثر أنصاره من الالمان إلا بعد انهزامه في موقعة ليبزك . ويعترف كل الادباء أن الاديب يستطيع أن يناصر الحرية من غير كتابة شعر أو نثر سياسي . وبما أن الثقافة عند جوتا كانت تدور حول تكميل الفرد وان بها من أجل ذلك شيئاً من الانانية فليس كل الاثرة من نوع واحد، والاثرة التي هي إيثار للثقافة أمرٌ مثمر منتج لم يستغن عنه مثقف . وأما الذين كانوا يريدون أن يُقبِلَ عليهم وهم يضيعون وقته الثمين ثم يشتكون إذا لم يفعل فقد قال فيهم جوتا : — إن أحمق اللصوص هم اللصوص الذين يسرقون وقتك واطمئنان بالك . ولا نريد تبرئته من كل عيب . وإنما نريد أن نظهر ما في نقد النقاد له من التحامل والمبالغة التي تغير الحقائق . والحكم له

بأقواله أصدق من الحكم عليه بأقوال نقاده، حتى ولو كان في أقوالهم بعض الحق . وفيما يلي تتمة لنظراته مع التعليق القليل على بعضها :

(١) لا دواء يستطيع أن تعالج به شعورك بامتياز غيرك إلا بالعطف والمودة لمن هو ممتاز عنك فبهما ترتفع الى مرتبته . أما الحسد والحقد فإنهما لا يعالجان امتيازه عليك، بل بهما تزداد انحطاطاً، ولا يستطيع أن يدرك مظاهر العظمة وصفاتها في الناس إلا من كان على صفة من صفات العظمة .

(٢) إني أشفق على الذين يصخبون ويحزنون بسبب فناء كل الأمور ويسترسلون في تأمل يجعل الحياة حبثاً وغروراً . فإننا ما خلقنا إلا لكي نجعل الأمر الفاني خالداً بأن نستخلص منه حقيقته وجماله ، وهذا لا يكون إلا إذا قدرنا الخالدين حق قدرها . والذي يستطيع أن يستخلص من الأمور الفانية جمالها وحقيقتها يستطيع أن يقول للساعة العابرة تريثي .

(٣) يظن المرء أنه إذا تكلم فإنه دائماً يقول ما ينطبق تمام الانطباق على ما يحس أو ما يلاحظ أو ما يجرب أو ما يتخيل أو ما يفكر فيه، ولكنه إذا فحص الأمر وجد أن كلامه قلما ينطبق تمام الانطباق إذ أن الكلمات التي ينطق بها المرء كثيراً ما تكون الخاطرة التي هي عوض عما لا يؤاتي فهي من قبيل سد خانة . وفهم الإنسان وفكره كثيراً ما يكونان أحسن مما يعبر عنهما من الكلام .

(٤) ان الانسان لا يفعل دائماً ما ينبغي أن يثابر عليه من محاولة ازالة ما يعلق بذهنه أو بذهن غيره من الأفكار المخطئة ، أو التي لا محل لها أو المقصرة عن الصواب بعض التقصير فيتركها عالقة بذهنه وهو لا يعرف عاقبتها . والواجب المفروض عليه هو أن يثابر على محاولة محوها بأن يكون مقصده واضحاً صادقاً نبيلاً ، وتركها عالقة يكون إما من الكسل أو قلة الاكتراث أو سوء النية .

(٥) كل مرحلة من مراحل العمر لها نظرة خاصة وفلسفة هي بها أشبه واليها أحوج . فالطفل لحداثة عهده بالدنيا يتحسس الموجودات ، ويتعرف الحقائق الكائنة، فنظرته إذاً واقعية (رياليست) فاذا كبر وصار شاباً ازداد عاطفة ، وأملاً ونظراً الى المستقبل . ومن يزداد من هذه الأمور يكون مثالياً (ايدياليست) فاذا اكتمل وصار رجلاً وجرب أمور الحياة وشك في وسائله وتساءل هل هي تنجح مقاصده ودبر وحزم أمره لذلك كان عملياً (براكتيكال) . فاذا شاخ وهرم ورأى كيف ان الأمور كثيراً ما تأتي عفواً، واتفاقاً وبالمصادفة، وان الأحمق قد ينجح والعاقل الحازم يخيب، وانه كثيراً ما يكون الجيد

والرذيلة الى مصير واحد. فمدثنر يرى الحياة لغزاً وسراً أي يصير (ميستيك) . ولكن ليس معنى ذلك ان هذه النظرات منفصلة في مراحل العمر انفصالاً تاماً. بل كل منها تتعدى مرحلتها، وقد تجتمع في مرحلة واحدة من العمر .

(٦) الشاك العامل النشط المنتج هو الذي يحاول دائماً أن يتغلب على نفسه، وأن يصل بالخبرة والتجارب الى يقين محدود . وان يكون همّ صاحبه تطبيق ما وصل اليه بحثه وبرهانه في الأمور العملية .

(٧) يوجد أناس كثيرون يخيل لهم انهم يفهمون كل ما يلاقونه في الحياة من تجارب، وإنما هم يشحنون أنفسهم بذلك كي يستريحوا، إذ الواقع أن في الحياة ولا سيما في اختلاف أعمال الناس وأخلاقهم ما يحير .

(٨) ان الرجل المغرور المعجب بنفسه يطلب مدح الناس اياه ، ولكنه لا يطلب هذا المدح أو الاكرام أو الاعجاب لأعمال أو صفات مجيدة، وإنما يطلبه لشخصه مهما كانت صفاته وأعماله ، وهذا الطلب ناشىء من شعوره بالنقص فيحب أن يتعيض عما نقص بالمدح والاكرام ، ودافع النقص هذا قد يوجد حتى في ذوي الكفايات والنبوغ الذين يجدون نقصاً في أنفسهم .

(٩) إن السخاء والاريحية أنواع ولكن أصدقها وأحسنها موقعاً وقبولاً السخاء الذي هو عطف التفاهم والتقدير والتقدير المنصف .

(١٠) اننا لا نستطيع أن نظل على خلاف مع من يتفق معنا في الطباع والميول. ومهما طال الخلاف فانه الى الاتفاق . أما الذين يخالفوننا في الطباع والميول فانَّ الاتفاق معهم إلى الخلاف، وهذا يشبه قول مارسل بروست ان التداني إنما يكون باتفاق الامزجة والأذواق والميول، لا باتفاق الآراء والنظريات .

(١١) أكبر خطر على قومية الألمان مجاراة جيرانهم ومحاكاة الأمم التي سبقتهم الى الظهور والحضارة من غير اتعاظ بعبر التاريخ وعظاته . وأعظم ما يفيد الالمان أنهم لفتوا العالم الى أنفسهم في زمن متأخر بعد أمم كثيرة أي أن الفائدة في إتعاظهم بما في حياة من سبقهم - وهاتان جوتا ما لفت النظر اليه في مكان آخر من أن التجارب لا تكتسب بالتلقين، فكما أن الحياة تبدأ تجاربها من جديد إذا كانت حياة الآحاد من الناس أو الاجيال أو القرون، فكذلك حياة الامم . وهو يعز ذلك ولكن صنعه في إرشاد قومه وعظتهم صنع المعلم الذي يحاول ان يجعل المتعلم يكتسب خبرة بالتعليم سواء أفادته أم لم تفده كل الفائدة .

[يتبع] ع . ش